مغامرات في الفضاء والخيال العلمي

# سيمفونية الجينات الوراثيَّة

تأليف
رؤوف وصفى

رسوم
هاجر محمود

obeikandl.com

دار المعارف
تأسست ١٨٩٠

رئيس مجلس الإدارة
**د. حسن أبو طالب**

**كتب أطفال وناشئة**
**سلسلة مغامرات فى الفضاء والخيال العلمى**

تم التنفيذ فى مطابع دار المعارف
- ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة -
جمهورية مصر العربية

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

وصفى ، رؤوف.
سيمفونية الجينات الوراثية/ تأليف، رؤوف وصفى، رسوم، هاجر محمود ـ ط ١ ـ القاهرة، دار المعارف. [٢٠١٥].
٦٨ ص، ١٦,٥ سم.. (مغامرات فى الفضاء والخيال العلمى، ١٧)
تدمك ٨ - ٨٢١٦ - ٠٢ - ٩٧٧ - ٩٧٨
١ - قصص الأطفال.
٢ - القصص العلمية.
(أ) محمود، هاجر (رسام).
(ب) العنوان.

ديوى ٨١٣,٠٢

رقم الإيداع ٩٩٢٩ / ٢٠١٥ — ٧ / ٢٠١٣ / ٩٥

**لا يجوز استنساخ أى جزء من هذا الكتاب بأى طريقة كانت إلا بعد الحصول على تصريح كتابى من دار المعارف.**

**الناشر: دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج. م. ع.**
هاتف ٢٥٧٧٧٠٧٧ - فاكس: ٢٥٧٤٤٩٩٩ E-mail: maaref@idsc.net.eg

obeikandl.com

تهادتْ بقامتِهَا الفارعةِ الممشوقةِ فى الممرِّ المُكيَّفِ الهواءِ والضَّغط، والمبطَّن بالصُّلب وألياف الكربونِ.. الَّذى يوصِّلُ مَا بينَ مكوكِ الفضَاء (البيرونى) ومستعمرةِ القمرِ (ابن سينا).. ورداءُ الفضَاءِ المتوَهِّجُ فى البيَاضِ النَّاصعِ لأشعةِ الليزر، والمُحْكمُ الذى يغلِّفها فى عالمٍ اعتادتْ عليهِ فوقَ كوكبِ الأرضِ، لمْ يستطعْ أن يُخفى مفَاتنَ الجسدِ المُمْتلئِ بدفقِ الشَّبابِ.. الصَّدر المكتنزِ.. والخصرِ النَّحيلِ.. والسَّاقينِ الطَّويلتيْنِ المستقيمتيْنِ، وخلفَ خوذتِهَا الشَّفافة.. كانتْ واضحةً بشرتُها الخمريةِ.. وشفتاهَا المضمومتانِ فى رقَّةٍ.. وعيناهَا النَّجلاوانِ.. وفمُهَا الوردىُّ الصَّغير، وأنفُها الدَّقيق الشَّامخ. كانَ سيرُها بتؤدةٍ.. وأخذتْ خطواتُها تنسَابُ كالحُلم.. وكأنَّ قدميْها ترتفعانِ لعدةِ سنتيمتراتٍ فوقَ مجالٍ مغنطيسىٍّ رقيقٍ.. حتَّى لا تطأَ الأرضَ المعدنيَّةَ الرَّماديةَ الملسَاء.. المُغطاةَ بطبقةٍ من المخْملِ الأسْود اللامعِ.. قطَّبت (لمياء وجدى) حاجبيها.. فقد كانَ الذَّوق والميلُ الفنىُّ للدكتور (ماجد أشرف) جامحًا نحوَ الخيَالِ.. بتلكَ

اللوحاتِ الزَّيتية الرَّائعة المُعلَّقة على جانبيْ الممرّ.. والَّتى جعلتْها تقفُ مأخوذةً صامتةً.. وبدتِ الدَّقائقُ مثقلةً بالأريجَ.. فإذ بها تشعرُ بنشوةٍ عَامرةٍ بتنوُّعِ الألـوانِ.. وتعدَّد عَوالم الخيالِ اللامتناهيِّ.

وتساءلتْ (لمياء) فى دهشةٍ:

- «لمَاذا أرسلَ لى مكُّوكًا فضائيًا فاخرًا، ودعوةً إلى مقرِّه فى مستعمرةِ القمرِ (ابن سينا)؟».. وكانَ الدكتور (ماجد) قد أرسلَ لهَا بريدًا إلكترونيًّا يقولُ فيه:

- «إنَّنى أتوقُ إلى مناقشةِ مشروعِ تأليفِ سيمفونيَّةٍ فريدةٍ لا نظيرَ لهَا معَ مؤلفةٍ موسيقيَّةٍ تغنَّتْ أعمالُها الأوركستراليَّة بجمالِ الطَّبيعة والكائناتِ الحيَّة».

ودَّتْ (لمياء) لو كانَ بإمكانِهَا أن تعرفَ عن الدكتور (ماجد) أكثرَ ممَّا يعرفُه الجميعُ.. كانَ صاحبَ شركةٍ تقومُ بالتَّعدينِ فى الكويكباتِ وأقمارِ كوكبىْ المُشترىَ وزحلَ.. كما أنَّه يمتلكُ أنصبةً هامَّة فى كثيرٍ من الشَّركات الصِّناعيةِ

الفضائيةِ الأُخرى.. بمَا فيهَا تلك الَّتى تُصَنِّع الدَّواءَ فى ظروفِ انعدَامِ الجاذبيَّة والرَّقائق الحيويَّةِ للكمبيوتراتِ..

وقد شاهدتْ (لمياء) شريطى فيديو بالصُّورِ المُجسَّمة.. كلاهَما تمَّ تسجيلُه منذُ نحوِ عَشر سنواتٍ.. أحدُهما يسجلُ إخراجَه من الحُطامِ الهائلِ لمركبتهِ الفضائيَّة إثْر حادثٍ مروِّع.. والآخرُ يرصدُ رحيلَه من المستشفى الفضائىِّ فوقَ كويْكبِ (سيرس) بعدَ بضعةِ أشهر فوقَ مقعدِه الإلكترونى الطَّائر.. الَّذى يُخفى عَجْزًا جسديًّا أصيبَ بهِ فى الحَادثِ.

(١)

رفعَ الروبوت العملاقُ - الَّذى صاحبَ (لمياء) منذ نزولِهَا من المكوكِ الفضائِّى - يديْه ذاتِ المفصَّلات الفضيَّة.. فانفتحَ جانبٌ منَ الجدارِ المعدنىِّ كاشفًا وراءَه مصعدًا بلوريًّا.. قالَ بصوتٍ آلىٍّ أجش.. ولكنَّه واضحُ النَّبراتِ:

- «سيدتى!! اصعدى إلى الدَّورِ الرَّابع! الدكتور (ماجد) ينتظرك هناكَ».

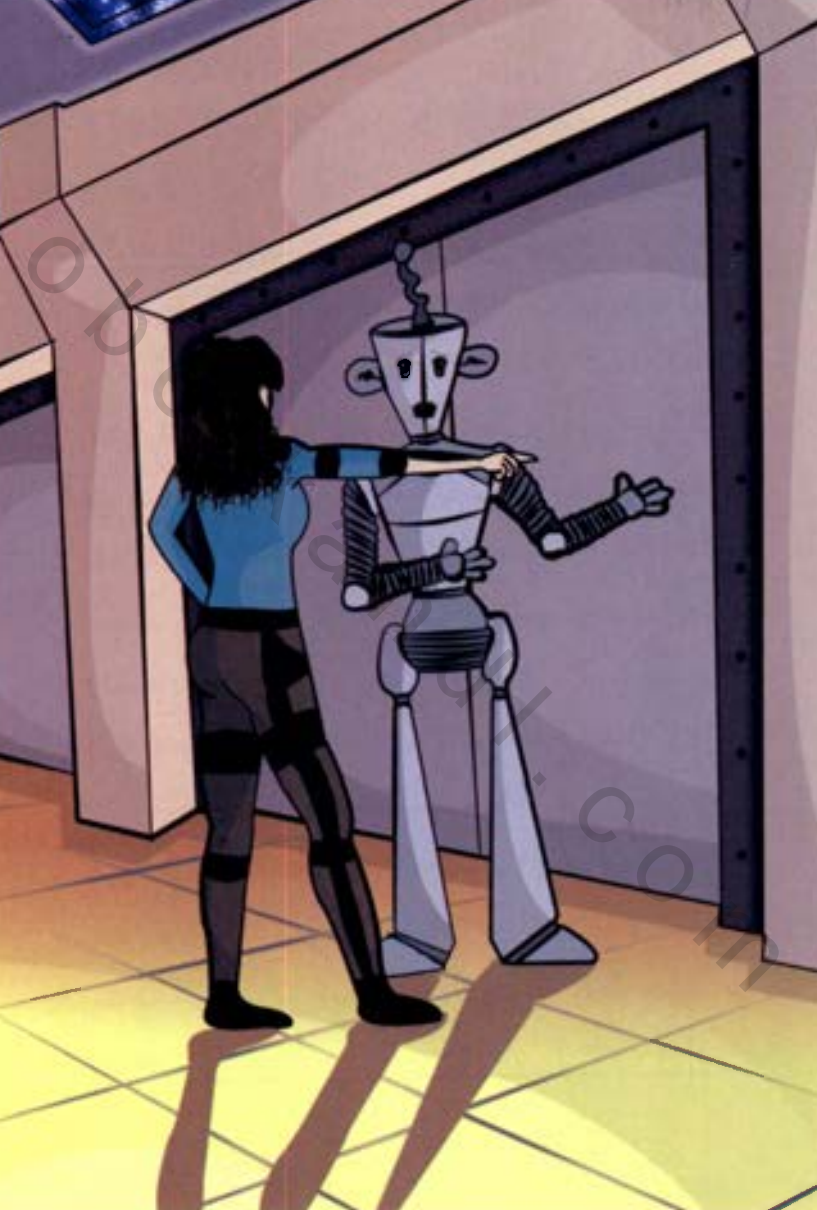

وحدَّثتْ (لمياء) نفسَها: «هلْ يرسلُنى الروبوتُ بمفردِى إلى عرينِ الأسدِ؟».

سرعانَ مَا عادتْ إلى الجاذبيَّة شبهِ الطَّبيعية.. ثمَّ تلاشتْ مرةً أخرى عندمَا توقَّف المصعدُ.. وانفتحتْ أبوابُه أمامَها..

شهقتْ (لمياء) فى ذعـرٍ.. وهىَ ترى أمامَها السَّطح المكشوفَ للقمرِ.. إذْ كانَ عُمْقُ الفوَّهات ينحدرُ إلى أسْفل فى شكلٍ غريبٍ.. لوحةً تجمعُ الأضواءَ والظِّلال! وللحظاتٍ لمْ تستطعْ أن تتبيَّنَ صورتَها المنعكسةَ بداخلِ السَّطح الشَّفافِ.. ورداءها الرَّائع المثيرَ.. تحتَ وجهِهَا المتورِّدِ وشعرِها القصيرِ بلونِ المخملِ الأبنوسىِّ.. ثمَّ تمكَّنتْ بعدَ فترةٍ قصيرةٍ من التقاطِ أنفاسِهَا وأحسَّت بالاطمئنانِ.. عندَما كانتْ تَخطو إلى خارجَ المصعدِ، وتدخلُ فى حجرةٍ دائريَّةٍ كبيرةٍ فيهَا مجموعةٌ من المقَاعد الوثيرةِ والمنَاضد الدَّائرية.. تطفو فوقَ الأرضيَّة بفعلِ مضَّاداتِ الجاذبيةِ.. بالإضافةِ إلى مكتبٍ أبيضَ عليه كمبيوتر أسودُ وشاشةٌ رقيقةٌ وأكوامٌ من

الأوراقِ وعددٌ كبيرٌ من الأقراصِ الكمبيوتريَّة (دى.فى.دى).. لمْ تلتفتْ (لمياء) كثيرًا إلى الأثـاثِ الموجودِ.. إذْ فوقَ الخزَّانات والأرففِ البللوريَّة الَّتى تحيطُ بالمكانِ والممتلئةِ بالكتبِ والمجلَّاتِ العلميَّةِ، ارتفعتْ قبةٌ نصفُ كرويَّة عبارةً عن شبكةٍ من الأسْلاكِ والكوارتز.. الَّتى تولِّدُ حاجزًا ضدَّ النيازك.. بحيثُ تُعطى انطباعًا بعدمِ وجودِ أى شىءٍ يفَصلُ الحجرةَ عن الفوَّهات القمريَّة الرَّمادية.. وقبعتِ الْأرضُ بأعلىَ فى شكلِ ياقوتةٍ زرقَاء لامعةٍ معلَّقة وسطَ ظلامٍ مخملىٍّ مُرصَّعٍ بكثيرٍ من المَاسات المتلألئةِ. ظلَّتْ للحظاتٍ هائمةً معَ الحُلْمِ.. وبصعوبةٍ أبعدتْ عينيْها عن المنظرِ السَّاحر.. عندمَا سمعتْ صوتًا جهيرًا ورنَّانًا يقولُ لها: «إنكِ فى أمانٍ تامٍّ!».

نظرتْ إلى الرَّجل الَّذى يسبحُ فى الفضَاء تجاهَهَا فى مقعدِه الطَّائر.. وابتسمتْ وهىَ تقولُ: «حقًّا!».

مدَّ يدهُ إليهَا وقالَ: «أنا (د. ماجد).. لقد كنتُ متشوِّقًا لمقابلتكِ».

ردتْ عليهِ تُجاملُه: «وأنا أيضًا».

شعرتْ بيدهِ - عندَما اقتربَ منَها بمقعدِه الطَّائر - وهى تكادُ تسحقُ يدها.. وأخذتْ عيناهُ اللتانِ بلونِ ترابِ القمرِ تفحصانِهَا وتُقيِّمانِها وتحاولانِ سبرَ غورِ شخصيتِهَا.

وتساءلتْ فى نفسِهَا: «تُرى أفى هاتيْنِ العينيْنِ والصَّوتِ المطمئنِ والمَلامح الحَادة الخشنةِ والشَّعر الَّذى خالطه البياضُ، والرِّداء الفضِّى الضَّيقِ الَّذى يعكسُ ألوانَ الطَّيفِ.. يكمنُ الشَّخصُ الَّذى اشترىَ كلَّ هذهِ اللوحَاتِ الفنيَّة الخياليَّة؟».

استطردتْ (لمياء) قائلةً: «هلَّا أخبرتَنى بشأنِ اقتراحِك؟».

أجابَها: «هلْ تُشرِّفينى أولاً بتناولِ الشَّاى معى؟».

ثمَّ ضغطَ علي بعض الأزرَارِ الموجودةِ فوقَ مسندِ مقعدِهِ المتحرِّك.. لكى يتقهقرَ تجاهَ المنضدةِ طائرًا فوقَ الأرضيَّةِ المتوهِّجة بإضاءةٍ خفيَّةٍ..

اعتدلتْ فى جِلْستِها هائمةً معَ الحُلْمِ وعالمِ الذِّكرياتِ وقالتْ:

- «تعلمُ أن المادةَ الوراثيَّة فى الكائناتِ الحيَّة ومنهَا الإنسانُ.. تنقلُ الصِّفاتِ من جيلٍ إلى آخرَ.. ويوجدُ سرُّ الوراثةِ داخلَ النُّواة فى خلايا أجسامِنا.. ويُطلقُ علَى الجُزىءِ الَّذى يشفِّرُ المعلوماتِ الوراثيَّة «الدَّنا» وتتكوَّنُ «الدَّنا» من وحداتٍ فرعيَّة هى «النوتيدات» الَّتى تربطُ الآلافَ منها لتشكِّلَ جزيئاتِ «الدَّنا».. كانتْ المعلوماتُ محفورةً بعمقٍ فى الذَّاكرة.. تريثتْ لبرهةٍ وأضافتْ:

- «وتتألَّفُ كلُّ نوتيدة من مرُكَّب كيميائىٍّ يُطلق عليهِ «قاعدة نيتروجينيَّة».. لأنَّه مكَّونٌ من النَّيتروجين، والنوتيداتُ أربعة: (أدنين - ثايمين، جوانين - سيتوزين) ويتكونُ جانبا جُزىءِ «الدَّنا» الأيمن والأيسر من جُزىءِ فوسفَات وجُزىءِ سُكَّر»..

وعلى الرَّغمِ من نشوةِ المعرفةِ الَّتى غمرتْه.. إلَّا أنَّه قاطعَها مستفسرًا:

- «هل لجزىءِ الدَّنا شكلٌ محدَّدٌ؟».

أجابتْه وقد استأثرتْ بروحِها دراستُها للبيولوجيَا الَّتى تعشقُها:

- «أجلْ.. إن سلسلة النوتيدات تتشكَّل فى جديلتينِ تربطهمَا روابــطُ ضعيفةٌ بيــنَ أزواج القوَاعد، بحيــثُ يرتبطُ دائمًا الأدنين مع الثايمين والجوانين مع الســيتوزين.. وتتعانقُ جديلتــا الدنا فى صورةِ لولبٍ مُــزدوَجٍ.. وتبدُو النوتيداتُ مثل درجاتِ السُّلم الحلزونىِّ».

ابتســمتْ وهى تنظرُ إلى وجهِ (د. ماجــد) المأخوذِ أمامَ تفجُّرِ هذه المعلوماتِ الوراثيَّة.. قالتْ:

- «وحتَّى يكتملَ المشهدُ الوراثىُّ.. يجبُ أن أذكر لكَ شيئًا عن الكروموزوم والجين».

ابتسمَ وحاولَ أن يبدو مرحًا.. وقالَ:

- «إننى أسمعُ عنهمَا كثيرًا.. ولكنِّى لمْ أحظَ بشرفِ التَّعرفِ عليهمَا!».

انفرجتْ أساريرُها للحظاتٍ ثم عادتْ تقاطيعُ وجهِهَا إلى الجدِّية، وقالتْ:

- «الكروموزوم يوجدُ أيضًا فى نواةِ الخليَّة.. وهوَ عبارةٌ عن تركيبٍ يُشبه القضيبَ.. المَادة الأساسيَّة فى بنائِهِ هى «الدَّنا» ويوجدُ منهُ ستةٌ وأربعونَ فى خلايا جسم الإنسان».

أتتْ لذاكرتِهَا فى جزءٍ من الثانيةِ.. ومضاتٌ من صورِ الجيناتِ على شَاشة الكمبيوتر:

- «أمَّا الجين فإنَّه منَاطق من «الدَّنا».. وعبَارة عن تتابعٍ من النوتيداتِ علَى طولِ شريطِ اللولبِ المزدوج».

التفتَ إليَها وفى عينيهِ عالمٌ من الأسئلةِ.. قالَ:

- «ومَا وظيفةُ الجين؟».

أجابتْ ورؤى الجهَاز الوراثِى للإنسان تتكاملُ فى ذهنهَا:

- «يُشفَّر كلُّ جين لجزىءِ بروتين.. وكلُّ شفرةٍ تتكوَّنُ من ثلاثِ قوَاعد نيتروجينيةٍ.. وكمَا هوَ معروفٌ فإنَ البروتيناتِ لازمةٌ لبنيَةِ ووظيفةِ وتنظيم خلايا الجسم وأنسجتِه وأعضائِه.. إذنْ الجينُ هى الوَحداتُ الحاملةُ للتَّعليماتِ الوراثيَّة».

التقطتْ أنفاسُها وأردفتْ قائلةً:

– «ويمكنكَ أن تُكونَ فكرةً عن مدىَ روعةِ جهازِنا الوراثيِّ.. إذا علمتَ أن كلَّ خليَّةٍ فى جسمِكَ تحتوى علَى «دَّنا».. بهَا معلوماتٌ تكفى لإنتاجِ نحوَ مئةِ ألفِ بروتين مختلف!».

تنهَّد وفى عينيهِ نظراتٌ حائرةٌ:

– «ومَا الهدفُ من هذهِ المحاضرةِ القيمةِ فى البيولوجيَا الجُزيئية والوراثةِ.. ومَا علاقتِها بالموسيقَى؟!».

أجابتْ وقد كانتْ تتوقَّعُ هذَا السؤالَ:

– «إن تتابعَ النوتيداتِ بأنواعِها الأربعةِ فى «الدَّنا» بمثابةِ بصمةٍ وراثيةٍ.. لأنَّها تختلفُ من كائن لآخر! وهناكَ فى السُّلم الموسيقىِّ مَا يُسمى «التيتراكورد» وتعْنى «الرُّباعية» وهوَ عبارةٌ عن تسلسُلٍ من أربعةِ أنغام تتعاقبُ فى حركةٍ متَّصلةٍ.. أى نغمةٍ لكلِّ نوتيدة فى «الدَّنا».. مع الأخذ فى الاعتبارِ بالطَّبع «الأبعادِ الموسيقيَّة» وهىَ المسافاتُ الَّتى تفصلُ فيَما بينَ النَّغمات.. و«المقام»

الَّذى يدلُّ علَى مجموعةِ القَواعد الَّتى تحكمُ تكوين السَّلالم الموسيقيَّة.. وغيرَ ذلكَ».

ذهبتْ إلى حيثُ المنضدةِ البللوريَّة الَّتى عليها كؤوسُ عصيرِ البرتقالِ.. تناولتْ رشفاتٍ منهُ.. ثم استطردتْ قائلةً:

- «إن الموسيقىَ إبداعٌ مثيرٌ للعاطفةِ.. ومن هذَا المنطلقِ فليشَارك فيهَا كلُّ النَّاسِ»، وعلَى الرَّغم من أن الشَّخص الَّذى يشعرُ بالوحدةِ.. رُبَّما تسعدُه الموسيقىَ الخاصَّة بهِ أو تسليه أو تواسيه وتُسرِّى عنهُ.. إلَّا أنَّه من الصَّعبِ أن يحتفظَ بهَا لنفسِهِ فقط. ففى وقتٍ مَا لابدَّ أن يسمعَ شخصٌ آخر هذهِ الموسيقىَ.. ويجبُ أن يشتركَ فى سماعِهَا.. سواءٌ إيجابيًّا أو سلبيًّا.. وفى كلتَا الحالتيْنِ لنْ تصبحَ الموسيقَى ممارسةً فرديَّةً.. وإنَّما تجربةٌ مشتركةٌ.. خاصَّة عندما تُعبِّر عن الطَّاقم الوراثىِّ «الجينوم»، أى كلِّ المادةِ الوراثيةِ فى كروموزوماتِ كلِّ إنسانٍ!».. وأكملتْ ببطءٍ.. وكأنَّها تُنهى عزفَ سيمفونيَّةٍ:

- «أوْ دعنَا نقولُ داخلَ كلِّ كائنٍ حيٍّ! ألا ترىَ أن هذا يُوجِدُ نوعًا من الرَّابطةِ بينَ جميع الكائناتِ.. سَلامٌ وحبٌّ كونىٌّ!».

قبلتْ (لمياءُ) كوبَ الشَّاى الَّذى أعطاه لهَا، وجلستْ علَى مقعدٍ مُتحرِّر الشكلِ، ثمَّ انسابتْ فجأةً من مكانٍ مَا الموسيقى الَّتى ملأتْ جنباتِ القبةِ.. وانطلقَ صوتُ الحياةِ الجميلِ العفوى من عقالهِ، وعلَى الفورِ تعرَّفتْ علَى «مَرثية العالم المُتلاشى»، السِّيمفونيَّة الَّتى قامتْ بتأليفهَا.. حتَّى بدونِ أنَ تُعزفَ بالكامل.. انسابتْ الموسيقىَ حولَها بنغماتِهَا الجهيرةِ الفَخمة الَّتى تمثلُ الحيتانَ وهىَ تُغنى بجانب ايقاعاتِ تغريدِ الطُّيور العاليةِ وزمجرةِ الحيواناتِ الكَاسرة وعواءِ الذِّئابِ.. وانفتحتْ فجأةً جميعُ البواباتِ الوجدانيَّة ما بينَ العقلِ والجسمِ!

استمرتْ عينا (د. ماجد) فى تفحُّصها وقالَ:

«لم يخطرْ على بَالى أبـدًا أن بإمكانِ شخصٍ مَا - حتَّى لوْ كانَ حاصلًا على درجةِ الدكتوراه فى البيولوجيَا

الجزيئيَّة مثلِك - تأليفا موسيقيا مستخدمًا المَادة الوراثية كإطارٍ مُنظِّم لهَا.. ويبدو أن أربع نغماتٍ هو الحدِّ المقيِّدِ لهَا!».

قطَّبتْ جبينَها وقالتْ:

- «إن الطَّبيعة اكتفتْ بالأربعِ نوتيدات لأداءِ كلِّ العملياتِ الحيويَّة للإنسانِ.. بمَا فيهَا الوراثُة».

تريَّثْ قليلا ثمَّ قالَ (د. ماجد) بصدق:

- «الحقيقةُ أنَّنى أُعجبتُ جدًّا بسيمفونيةِ «الحقُّ فى الحيَاة» عن التَّلوث الهوائىِّ والمائىِّ.. الَّتى ألهمتِ الحركةَ المتزايدةَ للحفاظِ على البيئةِ.. لقد ملأتْ نغماتُها عقلى بنهمٍ حادٍّ.. وطافَ ذِهنى فى ممرَّاتٍ غامضةٍ مكتظةٍ بكلِّ أنواعِ المخَاوف.. الرُّعب من الأعماقِ الكئيبةِ للظَّلام.. والَّتى تمتلئُ بالأشبَاح المتماوجةِ!».

قالتْ (لمياء) فى تأكيدٍ وحزم:

- أَرجو ذلكَ! فقد حاولتُ استخدامَ الموسيقى للتَّحذيرِ من مشكلةِ تلوُّثِ البيئةِ! ثُمَّ رفعتْ بصرَهَا إلى الياقوتةِ الزَّرقاء

المضيئة فوقهمَا.. بدونِ أىِّ انبهارٍ من هذهِ المسَافة الهائلةِ وأردفتْ: «إنَّنا نتركُ مَجَرَّةَ (الطَّريق اللبنىِّ).. ولكنَّنا لا نتركُ أى شىءٍ يمكنُ أن نعود إليهِ فيمَا بعدُ!».

قالَ لهَا فى دهشةٍ:

– «ليسَ صحيحًا أنَّنا نتركُ المجرَّةَ.. فنحنُ لمْ نغادرْ المجموعةَ الشَمسيةَ ذاتَها!».

هزَّتْ (لمياء) كتفيْها وقالتْ:

– «حقًّا! إنَّه لا يوجدُ بالفعلِ أىُّ قوةِ دفعٍ للسُّفنِ النَّجميةِ!».

لمعتِ الْعينانِ ذاتُ اللونِ الشَّبيه بترابِ القمرِ وهُما تُحدِّقانِ فيهَا:

– «هذاَ أحدُ الأعـذارِ الَّتى اخترعنَاها.. حتَّى لا نذهبَ إلى النجوم!.. والواقعُ أن ليسَ لهَا أىُّ أسَـاس من الصِّحة.. حقًّا لَمْ تنجحِ الْمحركاتُ الَّتى تَعملُ بالأيونَاتِ أو أشعةِ الليزِر أو غَازِ الهيدروجين الجوىِّ!».

تمهَّل (د. ماجد) بُرْهةً ثُمَّ استطردَ قائِلا:

– لكنْ لدينَا بالفعلِ قوةَ دفعٍ فعَّالةً للذِّهابِ إلى أعماقِ الكونِ، كمَا أنَّنا سنتقابلُ معَ كائناتٍ غريبةٍ هناكَ بينَ النجومِ!!».

(٢)

توقَّفتْ أنفاسُها فى صدرِها وقالتْ بذهولٍ:

– «كائناتٌ غريبةٌ!».

انحْنى (د. ماجد) تجاهها وقالَ:

– «منذُ ثلاثِ سنواتٍ بتوقيتِ كوْكبِ الأرضِ.. وجدَ مهندسٌ أعطيتُه امتيازًا بالتَّعدين سفينةَ فضَاءٍ مهجورةً فوقَ أحد الكويْكباتِ السَّيارة بينَ مدارىْ المريخِ والمُشترَى.. يبلغُ عمرُها نحوَ ثلاثةِ آلافِ عام!».

جفَّ لعابُها فى حلقِهَا وقالَتْ:

– «لكنَّنا موجودونَ فى الكويْكباتِ.. منذُ قرنٍ واحدٍ فقطْ!».

استرخَى لثوانٍ.. ثُمَّ تنهَّدَ وقالَ:

– «أجلْ! لقدْ قامَ عُلمائى بتفكيكِ هذه السَّفينة إلى أجزَاء.. وعرَفوا الأُسُسَ وراءَ قوةِ الدَّفعِ الفضائِّى الجبارةِ الَّتى أتتْ بهَا من بينِ النجومِ!».

تمهَّلَ لعدِة دقَائق ثُمَّ أضافَ قائلاً:

- «دونَ أن أدخلَ فى تفاصيلَ علميَّةٍ قد تصيبُكِ بالضَّجر.. لقد اكتشفتْ هذهِ الكائناتُ أن الفضَاءَ ليسَ فراغا تامًّا كما نعتقدُ.. بلْ هناكَ جسيماتٌ تنشأ وتفنىَ. فى جزءٍ من مليونٍ من الثَّانية.. هىَ الجسيماتُ التقديريَّة.. واستطاعتْ الكائناتُ الغريبةُ استغلال هذه الجسيماتِ لإمدادِهم بطاقةٍ بلا حدودٍ.. هى طاقةُ نقطةِ الصِّفرِ..».

وأردفَ بقولِه:

- « والآنَ أريدُ أن أضعَ قوةَ الدَّفعِ الفضائيةِ هذهِ فى السُّفن النَّجمية للبشر! ولهذا السَّببِ طلبتُ منكِ الحضورَ إلى هنَا فوقَ سطحِ القمرِ! إذْ إنَّنى سوفَ أُعلن عن خُططى فى حفلةِ عشاءٍ للمستثمرينَ المتوقعينَ من كل أنحاءِ المجموعةِ الشَّمسيةِ! وأريدُ للموسيقىَ أن تلعبَ دورًا فى الاحتفالِ بهذه المنَاسبةِ!».

تمهَّلَ للحظاتٍ ثُمَّ استطردَ قائلًا:

- «وبالطَّبع سوفَ تحصلينَ على مكافأةٍ مناسبةٍ».

وذكرَ رقمًا كانَ فى أى وقتٍ آخر يجعلُ (لمياء) مبهورةً.. إلا أنَّها الآنَ لمْ تشعرْ إلا بالقنوطِ وخيبةِ الأملِ..

موسيقىَ مُصاحبة!! هلْ هذهِ فكرتُه عن عملٍ موسيقىٍّ متميِّزٍ؟!

نهضتْ وقالتْ:

- «كلَّا.. شكرًا لكَ! إنَّنى لا أقومُ بتلحينِ إعلاناتٍ تجاريَّةٍ أو أضعُ موسيقىَ لمجردِ قضاءِ الوقتِ!».

نظرتْ إليهَا العينانِ الرماديتانِ نظرةً باردةً كبرودةِ فُوَّهاتِ القمرِ وقالَ:

- «أرجو أن تنتظِرى حتَّى أنهىَ كلامى! إن المالَ الَّذى أنفقتُه لإحضارِكِ إلى هنَا.. يُعطينى علَى الأقلِّ الحقَّ فى الاستئثارِ ببعضِ وقتكِ!».

جلستْ مرةً أخرىَ وهى متصلبةٌ على حافةِ المقعدِ، وعبسَ (د. ماجد) قائلاً:

- «إنَّنى أريدُ موسيقىَ خاصَّةً جدًّا.. قطعةً موسيقيةً طويلةً تُعزف بعد العشَاءِ.. بواسطةِ فرقةٍ أوركستراليَّةٍ.. تعتمدُ على تتابعِ جيناتِ المَادة الوراثيَّةِ..».

تمهَّل لبُرْهةٍ ثُمَّ أردفَ قائلًا:

- « ولعلمكِ فإنَّ تلكَ السَّفينة لمْ تكنْ فارغةً تمامًا!».

شعرتْ (لمياء) كمَا لو أن صاعقةً كهربائيةً تنقضُ عليهَا.. وارتجفتْ كلُّ عضلةٍ فى جسمِهَا وهمستْ قائلةً بانفعالٍ:

«هلْ تَعنى أنَّكم وَجدتم كائناتٍ غريبةً بهَا؟!».

هزَّ رأسَه وقالَ: «أوْ بالأحرىَ مَا تبقَّى منْهم! يبدو أنكِ أصبحتِ مهتمةً الآنَ بالأمرِ!».. لمْ تلتفتْ كثيرًا إلى ملاحظتِهِ السَّاخرةِ.. لأن قلبهَا كانَ يدقُّ بعنفٍ.. كائناتٌ غريبةٌ تختلفُ عن البشرِ! كيفَ ظهرتْ؟ وهلْ تشتركُ كلُّ المخلوقاتِ الحيَّة فى نفسِ النيوتيداتِ؟ أم أن مادتَها الوراثيةَ «تغنى» أغنيةً مختلفة؟

عرضَ عليها (د. ماجد) الفرصةَ لكى ترى بعينيهَا أولا.. سألتْه بأنفاسٍ متهدِّجة:

- «ومتى يُمكننى أن أرىَ تقريرًا كمبيوتريًّا.. يوضِّح تتابعَ النُّوتيدات لهذه الكائناتِ؟».

ارتسمتْ على فمِهِ شبهُ ابتسامةٍ وأجابَ:

- «اليومَ.. سوفَ أرسلُها إليكِ فى حجرتِكِ.. وهناكَ يوجدُ كمبيوتر حديثٌ يعملُ بالرقاقات الحيويَّة وجهازٌ إلكترونىٌ للتَّلحينِ الموسيقىِّ.. يمكنكِ استخدامَهما.. وإذا أردتِ أى شىءٍ آخر.. فمَا عليكِ إلَّا أن تَطلبيه.. وسوفَ يُريكِ الرُّوبوت (فهد) الطَّريق إلى حجرتكِ!».

(٣)

كانتْ «حجرتُها» عبارةً عن جَناحٍ كبيرٍ.. وكلٌّ من جدرانِها الطَّولية مبنىٌّ من نفس البلاستيك المُقوَّى بأليافِ الكربونِ مثل القبَّة الكُرويَّة.. ويَطلُّ على فوَّهاتِ القمرِ.. لكن لمْ يكنْ مُمكنًا لهَا أن ترى كوكبَ الأرضِ أو مكتبَ (د. ماجد) منهَا.. وإنَّما يمكنُها فقط أن تشاهدَ منظرَ سطحِ القمرِ والحياةِ المُوحشةِ تمامًا باللونيْنِ الأسْود والفضىِّ.. حيثُ ترتَفعُ الحوافُّ الدَّائريةُ

لفوَّهاتِ القمرِ بشكلٍ غيرِ منتظمٍ إلى السَّماء المخمليَّة السَّوداء المرصعةِ بالماساتِ البَّراقة.. فتحَ المشهدُ الرَّائع أمامَها أبوابَ التَّأملِ..

نظرتْ (لمياء) حولهَا وكوَّنتِ انْطباعًا عن الحجرةِ.. دخلَ الرُّوبوت ومعهُ امرأةٌ شابَّة ترتدى زيًّا رسميًّا أزرقَ اللونِ.. وتدفعُ أمامَها منضدةً صغيرةً متحركةً عليها كومةٌ من أوراقِ الكمبيوتر.. النَّاتجة من طابعةٍ تعملُ بأشعةِ الليزرِ..

الآنَ فقدتْ (لمياء) كلَّ اهتمامٍ لها بفوَّهات القمرِ ومشَاهد سطحِهِ.. بلْ تَسَارعَ نبضُها واندفعتْ إلى المنضدةِ وأخذتْ تقلِّبُ فى المطبوعاتِ بلهفةٍ.. وسألتِ المرأةَ:

- «هلْ أحضرتِ صورًا للكائناتِ الغريبة؟».

هزَّتِ المرأةُ رأسَها وقالتْ:

- «لمْ يعطونى سوىَ مطبوعاتِ الكمبيوترِ!».

جَمَدَتْ أساريرُ (لمياء).. لقد أرادتْ مِنهم أن يحضُروا لهَا مجموعةً كاملةً بصور ثلاثيَّةِ الأبعَادِ لتلكَ الكائنَات..

لأن هذا سيساعدُها فى استلهام النَّغمات الموسيقيَّة.. وقرَّرتْ أن تسألَ (د. ماجد) عنْ ذلكَ.

نسَّقَ الروبوتُ والمرأةُ الشَّابةُ المطبوعاتِ علىَ الأرضِ.. بينمَا فكَّت (لمياء) لفافةَ لوحةِ المفاتيح الإلكترونيةِ.. وبعدَ أن أُغلقَ البابَ وراءهمَا.. رتَّبتِ الْأوراقَ على شكلِ دائرةٍ كبيرةٍ – فوقَ السِّجادِ الأثرىِّ الفاخِرِ المنسوجِ باليدِ ويعودُ تاريخُه إلى العصرِ المملوكىِّ – بحيثُ شكَّلتْ نِطاقًا مُحدَّدًا خاصًّا بهَا.. ثُمَّ جلستِ الْقُرْفصاءَ واضعةً ساقيْها على فخذيْها فى منتصفِ الدَّائرة.. ولوحةُ المفاتيح فى حجْرِها.. وبدأتْ تقرأُ فى أقربِ كومةٍ إليهَا من المطبوعاتِ الكمبيوتريَّةِ. وتركِّزُ معظمَ إدراكِهَا على التَّتابع النوتيدىِّ.

ولَمْ ترَ شيئًا آخرَ.. وإنَّما سمعتْ فقط الموسيقىَ الخياليَّة الَّتى أوحىَ بهَا إليها ذلكَ التَّرتيب للقواعد النيتروجينيَّة.. وكادتْ أن تتجسدَ أمامَها النَّغمات الموسيقيَّة..! لمْ يطبعِ الْكمبيوترُ التَّركيبَ الكيميائىَّ، سواءٌ فى شكلِ علاقاتٍ

رياضيَّة أو رسوماتٍ بيانيَّة، لكن خبرتَها البيولوجيَّة أكَّدتْ لها أن المادَّة الوراثيَّة (دنا) للكائناتِ الغريبةِ تختلفُ عنهَا للبشرِ، إذْ بالإضافةِ إلى النوتيداتِ الأربع المُعتادة.. اكتشفتْ – لدهشتِها البالغةِ – اثنتينِ آخريينِ، أطلقتْ عليهَا «ك» من كائناتٍ و«غ» من غريبةٍ!! ستُّ قوَاعد نيتروجينيَّة.. نوتيدات.. لابدَّ أن الطَّاقم الوراثيَّ «الجينوم» لهذه الكائنَاتِ الغريبةِ معقدٌ جدًّا، والأهمُّ من ذلكَ أنَّه أصبحَ أمامهَا الآنَ ستُّ نغماتٍ تعملُ عليهَا، فى تأليفِ السيمفونيَّة الموسيقيَّة المطلوبةِ.. وليسَ أربعًا فقطْ مثل الكائناتِ الحيَّة الَّتى تعيشُ فوقَ كوكبِ الأرضِ.. ستُّ نغماتٍ موسيقيَّةٍ.. مِمَّا يجعلُها تستخدُم «السدسيَّة» فى تقسيمِ شكلِ النُّوتةِ الموسيقيَّةِ..

بدأتْ (لمياء) ترفعُ مطبوعَاتِ الكمبيوترِ من علَى السَّجاد بقوةٍ كافيةٍ.. ثُمَّ اسْتدارتْ لتقابل النَّظراتِ الحَادة فى عينىْ (د. ماجد) اللتينِ تحدِّقانِ فيهَا من مدخلِ الحجرةِ..

حامَ بمقعدِهِ الطَّائرِ فى الدَّاخلِ وقال مُبتسمًا:

- «جئتُ لأطمئنَ عليكِ.. أَبلغنى الرُّوبوت أنكِ لم تتناولىْ وجبتىْ الإفطارِ والغداءِ!».

قطَّبت حاجبيْها وقالتْ:

- «كانَ يجبُ أن أحذركَ من مدى اسْتغراقى فى العملِ.. منذُ اللحظةِ الَّتى أبدأُ فيها».

قالَ مشفقًا عليها:

- «حقًّا! لكنَّنى لمْ أُحضرْكِ إلى هنَا.. لكى تتضورى جوعًا من عدمِ تناولِ أى طعامٍ!».

تريَّث لَبُرْهةٍ ثُمَّ أضافَ قائلاً:

- «وحتَّى أطمئنَ على سلامتِكَ.. هلْ ترغبينَ فى تناول العشَاءِ مَعى هذَا المساءَ؟!».

تساءلتْ فى نفسِهَا:

- «العشَاء! إنَّ ذلكَ يعَنى ضياعَ عدةِ ساعاتٍ من وقتِ العملِ! إلَّا أن ذلكَ سوفَ يُتيحُ لى الفرصةَ لمعرفةِ المزيدِ عن هذا الرَّجل الفولاذىِّ الغامضِ.. الَّذى يعشقُ الخيالَ!».

أجابتْه بلا اكتراثٍ:

– «شكرًا لكَ.. مَا هوَ الوقتُ والمكانُ؟».

نظرَ إليهَا فى رقَّةٍ متناهيةٍ وقالَ:

– «إنَّنى أتناولُ وجبَاتى فى القاعةِ الرَّئيسية عادةً.. وسوفَ تكونُ المائدةُ مُعدَّةً فى السَّاعة السَّابعة بتوقيتِ الأرضِ!».

لفَّ (د. ماجد) مقعدَه الطَّائرَ.. وانطلقَ إلى خارج الحجرةِ.. وفقطْ عندمَا انغلقَ البابُ إلكترونيًّا وراءَه.. تذكَّرتْ (لمياء) أنَّها نسيتْ أن تسألَه عن الصُّور المُجسَّمةِ للكائناتِ الغريبةِ.. هزَّتْ كتفيْها واستغرقتْ فى عملِهَا.. إنَّها سوفَ تستفسرُ منه عن هذا الأمرِ.. فيَما بعدُ.. عنَد تناولِ العَشاءِ.

## (٤)

فى السَّاعة السَّادسة مساءً.. كانتْ قد حدَّدتْ طولَ السِّيمفونية واختارتْ أجزاءَها الأربعةَ.. خاصَّة «الروند» و«الليجرو».. والمدىَ الزَّمنى لهَا..

وقرَّرتْ أن النَّغمات من (مى) صعودًا إلى (دو) سوفَ يتضمنُّها سُلَّمُها الموسيقىُّ..

نهضتْ ووقفتْ مُتصلِّبةً وفردتْ أطرافَها.. وبدأتْ تستعدُ لراحةٍ قصيرةٍ قبلَ أن تبدأَ فى البحثِ عن تتابعِ النُّوتيدات فى الجديلتينِ.. بحيثُ ينسجمُ مع تسلسُلِ النَّغماتِ الرَّئيسى ويشكلُ لحنًا مصاحبًا لهُ.. عندمَا ذهبتْ إلى القاعةِ الرَّئيسية وهى تختالُ فى أرجائِهَا بقامتِهَا المديدةِ وبشرتِها الخمريَّةِ المُبتسمةِ.. حيَّاها (د. ماجد) بإيماءةِ إعجابٍ وقالَ:

- «رائعةٌ!».

كانتْ امرأةً حسناءَ.. تتمنَّى ضمَّةً من حبيبٍ..

ابتسمتْ (لمياء).. ورغم أن هذه كانتْ مجردَ راحةٍ من كتابةِ السِّيمفونية.. فقد ارتدتْ بعنايةٍ واختارتْ ثوبًا ذهبيًّا شفَّافًا من قطعةٍ واحدةٍ له كُمَّانِ ورِجْلانِ فضفاضتانِ.. وذا أطواقٍ موشَّاة حولَ المعصميْنِ والكاحليْنِ.. أوحاهَا لهَا الجاذبيةُ الضَّعيفةُ للقمرِ.. من بين موضاتِ الأزياءِ لهذا العام..

جلستْ حولَ مائدةِ الطَّعام المستديرةِ.. ونظرتْ إلَى الخارجِ عبرَ النَّوافذ البللوريةِ الضَّخمة.. تجاه فوَّهات القمرِ.. وإلى أعلى نحوَ كرةِ الأرضِ المُضيئةِ..

سألهَا (د. ماجد) وهوَ يحدِّقُ فى عينيْها:

- «كيفَ حدثَ أن بدأتِ فى استخدام المَادة الوراثيَّةِ (دنا).. فى تأليف الموسيقَى؟».

رشفتْ (لمياء) عصيرَ البرتقالِ الَّذى يَنمو فى الصُّوبات الزِّراعيةِ الزُّجاجية فوقَ سطحِ القمرِ.. حيثُ يمكنُ التَّحكم فى الجاذبيةِ ودرجةِ الحرَارةِ.. كانَ العصيرُ لذيذًا وشاحبًا وخفيفًا كضوءِ القمرِ.. أجابتْ:

- «أحضرَ أبى ذاتَ يوم لأمِّى بطاقةً إلكترونيةً كهديةٍ فى عيدِ ميلادِهَا.. كانتْ تتضمَّنُ أغنيةً نغماتُها الموسيقيةُ خاصَّة بالمادةِ الوراثيةِ فى نَوى خلاياها.. وأتذكَّر أنَّه قالَ لها: «هذه الأغنيةُ هى أنتِ»!.

تريَّثتْ لعدةِ ثوانٍ ثُمَّ أردفتْ قائلةً:

- «أثارَ ذلكَ انبهَارى! وبدأتْ أعزفُ نغماتِ (دنا) وتتابع النوتياتِ فيهَا.. وبعد ذلكَ أخذت فى كتابةِ نُوتٍ موسيقيَّةٍ عن الحياةِ الَّتى انقرضتْ أو كادتْ.. الدَّيناصورات

والقروشِ والنمورِ وغيرِها.. وأحسستُ بأنَّنى أُعبِّرُ - بهذِه الموسيقىَ - عن هذه الحيواناتِ وأدافعُ عنهَا!».

ضحكَ (د. ماجد) وعيناهُ زائغتانِ وقالَ:

- «إنَّنى أَعجبُ كيفَ تصدرُ كلُّ هذهِ النَّغماتِ من تتابع الأربع نوتيداتِ.. بيدَ أنَّنى أكثرُ دهشةً من التَّأثير العاطفى العميقِ الذَّى تُحْدِثُه موسيقاكِ على كافَّة المستمعينَ!».

أجابتْه بابتسامةٍ واهنةٍ:

- «لقد صاغَ أحدُ النقادِ ذاتَ يوم نظريَّةً حولَ هذا الأمرِ.. مفادُها أن الاستجابةَ تَنْجُمُ عنِ الرَّنين والتَّفُّهم على مستوى العقلِ الباطنِ.. ولمدى تشابُه النَّغمات الموسيقيَّة مع النَّمط المألوفِ لتركيبنَا الوراثِّى أو الجينىِّ!».

صمتتْ لبُرهةٍ وأردفتْ قائلةً:

- «إن ما يهمُنى هو أن أرى كيفَ يستجيبُ النَّاسُ للُّغةِ السِّرية الغامضةِ الَّتى تعبرُ عنهَا نوتيدات الكائناتِ الغريبةِ القادمةِ من بين النجومِ!».

لمعتِ الْعينَانِ.. وقالَ وهوَ مبهورُ الأنفاسِ:

- «أعتقدُ أنَّهم سوفَ يتأثرونَ عاطفيًّا بعمقٍ.. شريطةَ أن تُستخدمَ فى السِّيمفونية آلاتٌ موسيقيَّة بشريَّة».

تجهمتْ أساريرُ (لمياء).. آلاتٌ موسيقيَّةٌ بشريَّةٌ! أيمكنُ أن يكونَ ذلكَ خطَأ! لعلَّ الكائناتِ الغريبةَ لديْها أصواتٌ أكثرُ غرابةً.. ويمكنُها أن تُعزفُ على أجهزةِ التَّلحين الموسيقيَّةِ الإلكترونيةِ الَّتى تعملُ بتحكُّم الكمبيوتر.. ولكنَّها لو عرفتْ شكلَ الكائناتِ الغريبةِ لاستطاعتِ اخْتيارَ النَّغماتِ المناسبةِ لهَا!

قالتْ فى لُطْفٍ:

- «(د. ماجد)! إنَّنى أريدُ أشرطةَ فيديو أو صورًا للكائناتِ الغريبةِ!».

رشفَ عصيرَ البرتقالِ من كأسهِ البللوريَّة وعبسَ لفترةٍ ثُمَّ قالَ:

- «أعتقدُ أنَّه لا يوجدُ أىُّ فائدةٍ من مشاهدتِها!».

هزَّتْ كتفيْها وقالتْ:

- «إنَّنى لا يَهمنى مدى سوءِ هذه الصُّورِ.. فقط أريدُ شيئًا أعتبرُه تكاملًا مع تتابعِ النوتيداتِ!».

قال مُتثاقلًا:

- «لقد وجدنَا أجسادَهم محطمةً تمامًا.. بحيثُ لا يمكنُ أن نعرفَ شكلَهم أوْ مظهرَهم.. وتمَّ قراءةُ المادةِ الوراثيَّةِ (دنا).. من بضعِ خلايا تجمَّدتْ بسرعةٍ فائقةٍ، بحيثُ يسهلُ إذابتُها بدونِ تَدميرِ التَّركيبِ الدَّاخلى لها» استغرقتْ فى هذا الخيالِ لعدةِ ثوانٍ.. ثم اعترضتْ قائلةً:

- «حتَّى الأجسَام المحطَّمة أو المشوَّهة تستحقُ المشَاهدة! مثلا هلْ هم طوالٌ أو قِصارُ القامةِ؟ كمْ عدد الأطرافِ فى جسمِ كلٍ منهم؟ مَا هوَ شكلُ مَلابسهم؟ كيفَ تَبدو سفينتُهم الفضائيَّة؟!».

تفرستْها جيدًا العينانِ الرماديتانِ فى يقظةٍ ثُم استغرقتا فى التَّفكير ثُم قالَ:

«إنَّنى أفهمُ ما تهدفينَ إليهِ! إن لدينَا صورًا للسَّفينة.. وسوفَ نرسلُها إليكِ قبلَ الصَّباح! إنَّنا نستخدمُ كمبيوترًا

ضوئيًا فى إعادةِ تركيبِ أجسَاد الكائناتِ الغريبةِ.. على ضوءِ شكلِ هيَاكلهم العظميَّةِ! وسوفَ تصلُكِ النتائجُ مجسَّمةً بأشعةِ الليزرِ (هولوجرام).. بمجردِ الانتهاءِ منهَا..».

تريَّثَ لبرْهةٍ وتقلَّص وجهُه ثُم أضافَ قائلاً:

- «ومِمَّا شاهدتُه أنا شخصيًّا حتَّى الآنَ.. فإنَّ الكائناتِ الغريبةَ أقصرُ قليلا مِنَّا.. وأجسامُهم مغطاةٌ بريشٍ برونزىٍّ أو ذهبىٍّ!».

كائناتٌ طائرةٌ.. وريشٌ برونزىٌّ أو ذهبىٌّ!! انفرجتْ أساريرُ (لمياء) علامةً على البهجةِ البالغةِ.. لعلَّ المزاميرَ والآلاتِ الوتريَّةَ والنُّحاسيةَ والهَارب والهَارمونيكا.. يمكنُها تنفيذُ اللحنِ الموسيقىِّ..

أخذتْ تقلِّبُ هذه الفكرةَ فى رأسِهَا.. طوالَ بقيةِ وقتِ تناولِ العشَاءِ.. ثُمَّ بعد ذلكَ - فى حجرتِهَا - وضعتْ برنامجًا كمبيوتريًّا لجهازِ التلحينِ الموسيقىِّ الإلكترونىِّ.. لإصْدار نغماتٍ موسيقيةٍ مُبْهجةٍ.. تناسبُ الرِّيش البرونزىَّ والذهبىَّ للكائناتِ الغريبةِ!

## ٥

استمرَّت (لمياء) تعملُ على جهازِ التَّلحين الموسيقيِّ الإلكترونيِّ.. وفى الوقتِ نفسهِ وأثناءَ أوقاتِ الرَّاحة.. درستِ الصُّورَ المجسَّمة للسَّفينة الفضَائية.. بدتْ مساحاتُها الدَّاخليةَ صغيرةً بدونِ زخرفةٍ أو ألوانٍ.. الأسقفُ منخفضةٌ جدًّا.. وبدَا أن طاقمَ السَّفينة لا يستخدمُ أى أثاثٍ باستثناءِ مَناضد طويلةٍ ومنصَّاتٍ ذاتِ قضبانٍ مبطَّنةٍ.. وتوجدُ علَى أرضيَّة السَّفينة وساداتٌ مفرَّغةٌ كانتْ بلا شكٍّ ممتلئةً بسائلٍ مَا.. ربَّما كانتْ تُستخدَمُ كأسرَّةٍ للنوم.. أمَّا غيرُ ذلكَ لَمْ تدلّها الصورُ المجسمةُ للسَّفينة عن أى شىءٍ يتعلَّق بالكائناتِ الغريبةِ.. وسرعانَ ما أبعدتْ هذَا الموْضوعَ عن تفكيرِهَا..

تناولتْ طعامَ العشَاءِ بعدَ ذلكَ فى كلِّ مسَاءٍ معَ (د.ماجد) فى القاعةِ الرَّئيسية.. الأرضيَّة متوهجةٌ تحتَهما.. وكوكبُ الأرضِ يُضىءُ فوقَهما.. وأمتعَها بحكاياتهِ عن سنواتهِ الأولىَ التى قضَاها فى التَّعدين بحثًا عن الخاماتِ الثَّمينة على الكويكباتِ الَّتى تدورُ بين كوكبىْ المرِّيخ والمُشترى...

- «هكذَا كنتُ أنا ومَعى خمسةٌ من الزُّملاء فى سفينةٍ متهالكةٍ نبحثُ عن الكنوزِ فى الكويكباتِ!».

ابتسمتْ (لمياء) وهى ترشفُ ببطءٍ من كأسِ عصيرِ البرتقالِ، وقالتْ:

«يبدو من كلامِكَ أنَّك استمتعتَ بتلكَ الأيامِ.. تُرى لماذا تركتَها إلى هذَا العملِ المكتبىِّ؟».

هزَّ كتفَيه ونظرَ وراءَها إلى السَّماء وقالَ فى خبرةِ وثقةٍ:

- «الكويكباتُ.. مجَّرد محطةٍ فى الطَّريق الطَّويل إلى الكونِ!».

وفى إحدى الليالى الطَّويلة للقمر.. بعد أسبوعيْن من وصولِهَا إلى مستعمرةِ (ابن سينا).. أُتيحتْ لهَا الفرصةُ لكى تعرفُ مَدى حبِّه للفنونِ الخياليَّة.. فقد جعلَها تشاهدُ عددًا كبيرًا من لوحاتِ وتمَاثيل الخيالِ العلمىِّ والفانتازيَا..

قالَ لهَا بتؤدَةٍ:

- «إنَّنى أحترمُ النَّاس الَّذين يحلمونَ.. ويحاولونَ تطبيقَ أحلامهم - أو حتى كوابيسهم - بشكلٍ أدبى أو فنى!

على أى حالٍ قليلٌ من النَّاس فقط الَّذى يَحْلُمُ هذه الأيَّام!
وبمناسبةِ الحديثِ عن الأحلام كيفَ يسيرُ عملُكِ هنا؟».
كانَ هذَا السؤالُ حتميًّا.. تنهَّدتْ وقالتْ:
- «ببطءٍ كمَا هى العادةُ! إننى لم أقرِّرْ حتَّى الآنَ الآلاتِ الموسيقيَّة الرئيسيَّة الَّتى سوفَ أستخدمُها فى السِّيمفونيةِ! لعلى سوفَ أستخدمُ الآلاتِ الشَّرقية بجانبِ الغربيةِ!».
طرفتْ عيناهُ وقالَ:
- «مَاذا؟!» قالتْ فى تأكيدٍ وحزم:
- أجـل.. الموسـيقىَ الشَّـرقية.. وآلاتُها الوتريَّـة الخفيفةِ الرَّائعة».
تجمَّدتِ المْسافةُ ما بينَ عينىْ (د. ماجد).. ووجَّه إليها نظرةً حادةً نفذتْ إلى أعماقِها.. وقالَ:
- «لا تنسىْ أنَّك تكتبينَ سيمفونيتَكِ الموسيقيَّةَ لآذانٍ عصريَّةٍ تحبُّ الجديدَ!».
كما لـوْ أن النَّغمات الحديثةَ لا يمكنُ أن تُصدر عن آلاتٍ موسيقيَّة قديمةٍ! لكنَّ ذلك أمرًا ليس غريبًا عندَ مناقشةِ الآلاتِ الموسيقيَّة مع شخصٍ لا يعرفُ شيئًا عن الموسيقىَ!

قالتْ فى جِدٍّ: «أدركُ ذلكَ بالطَّبعِ! لكن تُرى مَا هوَ الموعدُ الَّذى يجبُ أن انتهىَ فيهِ؟».

صمتَ مبتسمًا ثمَّ قالَ:

- «العشاءُ أولا ثم نفكِّرُ فى الموسيقىَ! آه.. لقد كدتُ أن أنسىَ (فوزى)..!» وأشارَ إلى كبيرِ الخدمِ وقالَ لَهُ:

- «أحضرْ لى المظروفَ الَّذى فوقَ مَكتبى».

دقَّ قلبُ (لمياء) بعنفٍ.. عندمَا شاهدتِ المظروفَ الرَّمادىَّ المُربَّع.. الَّذى يحتوى بالتَّأكيد علَى (برنامج إعادةِ تشكيلِ أجسَامِ الكائناتِ الغريبة)... قرص كمبيوتر حديثٍ (دى فى دى). أنْهى (د. ماجد) رشفَ آخرِ قطرةٍ كأسِ عصيرِ البرتقَالِ وقالَ: «كمَا وعدتُكِ تمامًا!».

(٦)

بمجردِ أن عادتْ (لمياء) إلى جناحهَا.. أدخلتْ القرصَ (دى فى دى) فى الكمبيوترِ الَّذى تعملُ عليهِ.. وانتظرتْ وهىَ جالسةٌ القرفصَاء تتطلَّعُ بشَغفٍ إلى الشَّاشة الكبيرةِ.. بدأتِ

الْصورةُ تُظْهِرُ خطًا وراءَ الآخر.. كما لو كانَ يتمُّ تخطيطُها داخلَ الشَّاشةِ، وكانتْ فى نفسِ الوقتِ تدورُ على محورٍ مَا.. بحيثُ يظلُّ الجانبُ البعيدُ من الشَّكل المجسَّم ثلاثىِّ الأبعادِ ظاهرًا من خلالِ الخطوطِ المكوِّنةِ للجانبِ القريبِ.

لكن مع كل لفَّة كانَ يظهرُ المزيدُ من التفَّاصيل: الرِّيش البرونزىِّ والذَّهبى.. العيون الكَبيرة الزَّرقاء الَّتى تشبه عيونَ القططِ وأظَافر الأصَابع الورديَّة.. تلاهَا توضيحُ للأنسجةِ القرمزيَّة.. وأخيرًا بزغتْ ألوانُ الخلفيَّة.. حتى أصبحَ على الشَّاشة شكلٌ تركيبىٌ فريدٌ.. لا يُشبه أىَّ رسم يمكنُ أن ينتجَه الكمبيوتر.. وإنَّما صورةٌ مجسمةٌ لكائن غريبٍ.. حقيقىٍّ!

كان الكائنُ الغريبُ واقفا على ســاقيْنِ عضلتيْنِ منحنيتَيْنِ بشــدةٍ.. كلٌّ منهمَــا مثلُ حبليْــن ملتفَّيْن.. لم تكــن لَه أى أجنحــةٍ.. فقط ذراعان صغيــران مُكوَّنان من مفصَّلات غريبةٍ مطويَّةٍ عبر الصَّدر الذَّهبى.. وينتهيانِ بيديْن بكلٍّ منهمَا إبهامٌ وإصبعــانِ طويلانِ كثيرو المفاصلِ.. وبرزتْ من جانبىْ الرَّأس

العريـض أذنَانِ يحيطُ بهمَـا الرِّيش.. وكانـتَ هناكَ عينانِ واسـعتانِ متألقتـانِ بألوانِ العقيـقِ الأزْرق.. حالمتانِ كعينى القِط.. وفوقَ فتحتىْ الأنفِ ريشٌ خفيفٌ وقوسٌ بَاسم للفَم..

تنهَّدت (لمياء) بارتياح شديدٍ.. لقد كانَ مخلوقًا غريبًا حقًّا وغيرَ بشرىٍّ بالمرَّة.. ولكنَّه كان - فى نظرِهَا - فاتنًا ويأسرُ الأبصَارَ..

انهمكتْ بسـعادةٍ بالغةٍ فى مهمتِهَـا المزدوجةِ.. تأليف السِّيمفونية.. وإيجادِ المؤثراتِ البصريَّة الَّتى سوفَ تصاحبُها وتُعطى بعدًا ممتعًا للمشَاهدين.. وفى غضون عدةِ أسَابيع تاليةٍ أمكنَها باسـتخدام الكمبيوتر.. تَكوين وتَخزين آلافٍ من صورِ الكائناتِ الغريبةِ الَّتى يمكنُ عرضُها كمشَاهد مرئيةٍ..

بينمَا أخذتْ تُجرِّب فى نفس الوقتِ.. عددًا لا حصرَ لَهُ من التتابعات النوتيديَّة.. القوَاعد النيتروجينيَّة.. وهى تعزفُ فى مواجهةِ بعضِها البعض بأصْوات عدةِ عشراتٍ من الآلاتِ الموسيقيَّة.. وأخذتْ (لمياء) تختارُ من بينِهَا وتنتقِى وتعدِّل

فيهَا.. وعاشتْ فى هذه العمليَّة بكل حواسهَا.. كانتْ تتنفَّسُ وتَرى وتحلُم بالسيمفونيةِ.. وتكادُ لا تعى أى شىءٍ آخر.. وحتَّى أثناءَ تناولِ العشَاء معَ (د. ماجد).. كانَا يتكلمانِ عن العملِ ومدىَ تقدُّمِهِ كانَ فى البدايةِ ينُصت باهتمام.. وما أن تنهمَك فى تناولِ الطَّعام.. حتَّى تجدَه يحدِّق فيهَا! وسرعانَ ما أدركتْ درجةَ العُزلة الَّتى يعيشُ فيهَا.. برغم كلِّ البذخ الفَاحش الَّذى حوَّله!

عندمَا استخرجتْ (لمياء) نسخةً مطبوعةً من الكمبيوتر بالمعزوفةِ الموسيقيَّة لكلِّ آلةٍ، شعرتْ بأن العملَ قد بدأَ بالفعلِ.. وكانتْ قد اختارتِ الْفرقةَ الموسيقيَّة السِّيمفونية العربيةَ الشَّهيرة من كوكبِ الأرضِ.. وهُم يُعدون من أمهر الموسيقيينَ على المستوَى العالميِّ..

وعندمَا اقترب موعدَ وصولهم اشْتركتْ مع كبير الخدم فى تخصيصِ الحجراتِ لإقامتِهم.. وبمجردِ حضورِهم بعدَ عدةِ أيامٍ - بتوقيتِ الأَرضِ - انْشغلتْ عبرَ ساعاتٍ طويلةٍ من

البروفاتِ الشَّاقة.. عُقِدَتْ كلُّها فى المكانِ المخصَّصِ لإقامةِ الحفلاتِ الكبرىَ.. وهىَ ذاتُ قبَّة كرويَّة شفَّافةٍ.. وجدرانٍ بللوريَّةٍ تمتزجُ فيهَا ألوانُ الطَّيف.. بتأثيرِ أشعَّة الليزرِ المجهولةِ المصدرِ.. لكن لم يكن لدى (لمياء) مَا يَكفى من الوقتِ لإبداءِ إعجابِهَا بالمنظرِ الخلاَّبِ.. الَّذى لا مثيلَ لَهُ..

(٧)

حوَّم (د. ماجد) خارجَ المصعدِ الشَّفاف بمقعدِهِ الطَّائرِ.. كملكٍ متوَّج علىَ عرشِه العلوىِّ، وأخذَ يُحيِّى ضيوفَه ويقدمُهم إلى (لمياء) الَّتى وقفتْ بجانبِهِ مرتديةً ملابس مخمليَّة مُحلاَّة بقطعٍ ذهبيَّةٍ دقيقةٍ.. كانَ رداؤها رائعًا ومثيرًا.. تحتَ وجههَا المتورِّدِ.. وشعرِهَا القصيرِ بلونِ الأبنُوس الأسودَ..

كانَ المشهدُ يعكسَ بهاءَ حفل افتتاحٍ عالميٍّ.. اكتستِ النِّساءُ بالحُلى والمجوهراتِ والمَلابسِ الثَّمينة الفاخرةِ.. بينمَا ارتدى الرِّجالُ أنواعًا رسميَّة أنيقةً من المَلابس الكاملةِ ذاتِ القطعةِ الوَاحدةِ والأثوابِ الفضفَاضة وسترات واسعةٍ

زاهيـةِ الألوانِ.. لكن ليسَ كلُّ هذا.. ولا حتَّى أسـماء أولئكَ الأشـخاص – الَّذين لمْ تتمكَّـنْ (لمياء) من معرفةِ معظمِهم – هوَ الَّـذى جعلَ قلبَهَا يدقُّ بسـرعةٍ.. إذ كانـتْ هناكَ هالةٌ مرئيةٌ من النفوذِ والسُّـلطانِ مقترنـةٌ بهم.. وبدونِ أن يخبرَهَا أحدٌ بذلكَ، عرفتْ أنَّها صافحتْ رجالا ونساءً مِمَّنْ يحكمونَ ثـرواتِ العالم.. والذينَ امتدَّ مجـالُ نفوذِهم بعيدًا إلى خارِجْ حدودِ المجموعةِ الشَّمسيَّة..

كان المشهدُ يتَّسمُ بالفانتازيا الَّتى تميِّزُ لوحات (د.ماجد).. المنَاضد البللوريَّة المُجهزة بشكلٍ رائعٍ بأفخَر الأوانِى الفضيَّة مُرتَّبةٌ فى دائرةٍ.. وتعكسُ الضَّوء اللبنىَّ للأرضيَّة.. وكانَ الضُّيوف يتحركونَ فى وقارٍ وجلالٍ وهم يرتدونَ ملابسَهم الرَّسميةَ الفاخرةَ.. يثرثرونَ ويَبدو أنَّهم لا يدرونَ أوْ لا يعنُون بأنَّهم موجودون فوقَ فوَّهةٍ قمريةٍ.. وفجأةً سطعَ ضوءٌ من كشَّافاتٍ خفيَّةٍ غمرَ سطحَ القمرِ القريبِ من قاعةِ الاحتفَالِ.. وشكَّلت الجدرانُ الدَّائرية الشَّفافة مشهَدا يخلبُ الألبابَ

من النُّجوم المتناهيةِ البُعدِ.. ومع هذا كانتْ تتوهَّج بشدةٍ فبدتْ قريبةً من (لمياء).. وكأنَّه يمكنُها أن تصلَ إليهَا وتُمسكَ بهَا!.. وتساءلتْ:

– «تُرى أىُّ نجوم منَها تسْطعُ على المخلوقاتِ الرَّائعة ذاتِ الرِّيش الذَّهبى؟».

(٨)

جلستْ (لمياء) على المائدةِ الرَّئيسية بجوارِ (د. ماجد) وكان الاضطرابُ يجعلُها غيرَ قادرةٍ تمامًا على تمييزِ مَا تأكلُه.. وبدلا من ذلكَ حدَّقتْ فى الضَّوء المتألِّقِ العلوىِّ.. ودُهِشَتْ من أن الضيوفَ لا يتطلعونَ إلى جمالِ الكونِ.. وإنَّما يتحدثونَ فى موضوعاتٍ خاصَّة بِهم..

همستْ إلى (د. ماجد) قائلةً:

– «عجبا! ألا ينظرونَ أبدًا إلى أعلى.. إلى روعةِ الكونِ!».

أمسكَ بحافَّةِ المنضدةِ البللوريَّةِ.. وارتكزَ عليهَا ورفعَ نفسَه قائلًا:

- «رُبَّما سيفعلونَ ذلكَ من الليلةِ!».

تريَّثَ لبُرهةٍ ثمَّ رفع صوتَه قائلًا:

- « أيَّتها السَّيداتُ والسَّادة!»..

وانتظرَ قليلا ريثمَا يهدأُ صخبُ الحديث.. ولمْ يبقَ سوى قرقعةٍ من حينٍ لآخَر لملعقةِ حلوىَ على طبق بللورىٍّ.. ثُمَّ استطردَ قائلًا:

- «أريدُ أن أشكرَكم جميعًا على حضورِكم! وبعد عدةِ دقَائق سوفَ يقدمُ الأوركسترا السِّيمفونى العربىُّ.. العملَ الجديدَ تأليف (لمياء وجدى).. كمَا وعدتُكم! وقبلَ ذلكَ دَعونى أُرضى فضولَكم بشأنِ مشْروعى الفضائىِّ!».

صمتْ لعدةِ لحظاتٍ ثم ابتسمَ وأردفَ قائلًا:

- «أيتُها السَّيداتُ والسَّادةُ.. إنَّنى أعرضُ عليكمُ السَّفرَ إلى النجومِ.. وأعماقِ الكونِ!».

لاحظتْ (لمياء) أن العديد من الأشخاص بدأوا فى تكوينِ تعبيرٍ تختلطُ فيه الدَّهشة مع العبوسِ.. لكن قبلَ أن يتحولوا إلى هذا التَّعبير.. هبَّتْ على المنَاضد دوامةٌ هوائيَّةٌ لم تلبثْ

أن تجسَّدت فى شكل العرضِ الكاملِ المُجسَّمِ.. بالهولوجرام والليزر.. لسفينةِ الغربَاء المحطَّمة..

رفعَ الضُّيوفُ حواجبَهم وهم جالسونَ بلاَ حراكٍ حولَ المنَاضد.. ثُمَّ خفَّضوها ثانيةً فى تأمُّلٍ بعد أن تَعرفوا على السَّفينة الغريبةِ.. واتسعتِ الْعيونُ عندَما شَرحَ (د. ماجد) لَهم.. كيفَ كانَ شكلُ السَّفينةِ الفضائيَّةِ وأينَ تمَّ العثورُ عليهَا فوقَ أحدِ الكويكبات..

وبعدَ قليلٍ تلاشتِ السَّفينة فى الهواءِ الصِّناعىِّ داخلَ القاعةِ.. وظهرَ مكانَها كائنٌ غريبٌ تمامًا.. مثل الَّذى شاهدتْه (لمياء) من قبلُ.. شكلٌ خَارجىٌّ مُجسَّم يدورُ حولَ محورٍ.. ثُمَّ بدأتْ تفاصيلُه تظهرُ سريعًا وأيضًا مظهرُه وقوامُه ولونُه.. وتنهَّد الجالسونَ حولَ المنَاضد.. بأنفاسٍ عميقةٍ!

قالَ (د. ماجد) فى وضوحٍ وصفَاءٍ:

- «إن السَّفر إلى النجومِ أصبحَ الآن ممكنًا فى رحلاتٍ دوريَّةٍ.. بدلا من الانتظَارِ لأجيالٍ! وكلُّ ما نريدُه الآنَ.. شركةٌ لبناءِ السُّفن النَّجميَّةِ!».

لم تستسغْ (لمياء) الفيزياءَ الَّتى أخذَ يشرحُها (د. ماجد).. عن استخدام البلازمَا.. والأوتارِ الفائقةِ الكونيَّة.. والجاذبيَّة السَّلبية.. والثقوبِ السَّوداء.. وطاقةِ نقطةِ الصفرِ.. وأخيرًا قالَ (د. ماجد) وقدِ الْتمعت عيناهُ:

- «إذا استخدمنَا قوةَ الدَّفع الفضائيةِ هذهِ.. سوفَ يكونُ لنا الكونُ بأكملهِ.. أىُّ أرباح تكمنُ هناكَ.. سوفَ تكونُ من نصيب المساهمينَ فى الشَّركة.. أمَّا الآنَ فاستعدوا للمتعة!».

تلاشتْ شيئًا فشيئًا صورةُ المخلوقِ الغريبِ وريشِهِ الذَّهبىِّ وقالَ (د. ماجد):

- «يشرفُنى أن أقدمَ لكم الأوركسترا السِّيمفونى العربىَّ.. وهىَ تعزفُ أجملَ وأبدعَ مؤلفاتِ (لمياء وجدى)!».

ثُـمَّ تهالكَ فى مقعدِهِ.. وأثناءَ حديثِهِ تسـلَّلَ أفرادُ الفرقةِ الموسـيقيَّةِ بملابسـهم الذَّهبية وأخذوا أماكنَهـم فى نهايةِ القاعةِ.. فوقَ منصَّة ترتفعُ عن الأرضيَّة بقليلٍ.. قبضتْ (لمياء)

على أصابعهَا بقوةٍ فى حجرِهَا.. ونبضاتُ قلبِهَا تُشبه دقاتِ الطِّبولِ.. وأومأتْ إلى (د. ماجد).. وجسمُها يرتجفُ!

(٩)

كانَ الجميعُ مشدوهينَ بالأنغامِ العذبةِ.. الَّتى شعروا أنَّها تنطوى على شىءٍ مَا.. هوَ سرُّ الوجودِ كلِّه! وأنَّهم على وشكِ إدراكِ سرِّ هذا اللحنِ العجيبِ.. لحنٌ لكونٍ خُلِقَ حديثًا.. يصيحُ فى فرحٍ.. أولَ صيحةٍ لَهُ.. بعد ولادتِهِ بالانفجارِ الأعظَم! لحنٌ لشموسٍ شابَّةٍ تدعو إليهَا فى قوَّة.. ومهابةٍ.. وهمسَات الكوَاكبِ الدَّوَّارةِ.. لحنُ الحياةِ.. والنمو.. والازْدهارِ.. لكلِّ مجرَّةٍ فى الكونِ!

كانَ الهدفُ من سيمفونيَّة (الرَّحيل.. إلى عمقِ الكونِ) إظهارَ هيئةٍ تصويريَّةٍ لحالةٍ مَا.. هىَ السَّفر فى أعماقِ الكونِ.. وبعدَ الفاصلِ الموسيقىِّ الأوَّل.. وهوَ ذو طابعٍ سريعِ الحركةِ.. استراحتْ أعصابُ (لمياء) وكذلكَ (د. ماجد) وضيوفُه.

وعندمَا بدأَ الفاصلُ الثَّانى.. الهادئُ الرَّصين.. لم يكن هناكَ شىءٌ موجودٌ سوى الموسيقىَ.. غنَّت الآلاتُ الوتريَّة والنُّحاسية وآلاتُ النَّفخ والأورج الألكترونى والقيثارات.. بحيثُ تعبِّرُ كلُّها عن تتابعِ النَّوتيدات فى جيناتِ الكائناتِ الغريبةِ.. وفِى منتصفِ كلِّ منضدةٍ بللوريَّة.. قامتْ الكمبيوتراتُ.. ذاتُ الشَّاشات الرَّقيقة الَّتى تعملُ بالبللوراتِ السَّائلة بعرضِ المشَاهد المُجسَّمة الهولوجراميَّة!.. انتصبتْ الكائناتُ الغريبةُ ذاتُ الريشِ الذَّهبىِّ.. وعيونِ القطط الومَّاضةِ.. وسارتْ بخطىً سريعةٍ على أرجلها القويَّة.. ورقصتْ فى دوائرَ ضيَّقة وهىَ متعانقةٌ.. رقصةً بطيئةٍ رزينةٍ.. أمامَ خلفيَّة تضمُّ مشهدَ القمرِ.. وحشودِ النجومِ والمجرَّات.. فى أعماقِ الكونِ.

أغلقتْ (لمياء) عينيْها.. وهى تشعرُ بهَا تختلجُ فى وجدانِها وتركتْ صوتَ الموسيقىَ يتملَّكها ويتغلغلُ فى كيانِهَا، ويتوغَّل فى عظامِهَا ويتخلَّل دماءَهَا.. كالتنويمِ المغناطيسىِّ!

غمغمتْ وهيَ مستغرقةٌ فى التَّفكيرِ:

«كيفَ يعتقدُ الأشخاصُ الأغبياءُ أنَّهم اخترعوا الموسيقىَ؟! لقد صنعتْها الطَّبيعةُ أولاً.. وعلى نحوٍ أفضَل.. وتظهرُ بشكلٍ واضح فى هبوبِ الرِّياح وخريرِ المياه وأصواتِ الحيوانات.. وحتَّى فى كلِّ خليَّةٍ حيَّةٍ.. بمَا فيهَا من جيناتٍ وكروموزومَات وبروتيناتٍ! لقد أتتِ الكائناتُ الغريبةُ من كوكبٍ تسطعُ عليهِ شمسٌ مختلفةٌ ورُبَّما عَدة شموسٍ.. لكن فى أعماقِهَا.. تشدو خلاياها.. بأغانٍ لا تختلفُ عن مثيلاتِها للأشجَار والحيواناتِ والحشراتِ.. وسكانُ الأرضِ منَ البشرِ!».

وعندما توقَّفت الموسيقى وامتلأتْ قاعةُ الاحتفالِ والقبَّة الكرويَّةِ الشَّفافِة.. بسكينةٍ وهدوءٍ تاميْنِ.. بدأتْ (لمياء) تسمعُ تنهداتِها وضرباتِ قلبِهَا.. أغمضتْ عينيْها ثم فتحتْهما بتردُّدٍ.. لترى كلَّ واحدٍ من الضيوف وهوَ يطرفُ بعينيْهِ فى الهواءِ الصِّناعىِّ داخلَ دائرةِ المناضِد البللوريَّةِ.. واستدارتْ ببطءٍ لتلتقىَ بعينىْ(د. ماجد).. وشعرتْ للحظاتٍ بأن

المدعويــنَ كرهوا الموســيقى.. وودَّتْ أن تقدمَ اعتذارًا لأفرادِ فرقة الأوركسترا!

ولمْ تمر عدةُ ثوانٍ حتَّى بدأَ استحسانُ وتصفيقُ الحضورِ.. أولًا من شخصٍ واحدٍ ثُمَّ لم يلبثْ أن تلاه أفرادٌ آخرونَ.. وبدأ صوتُ التصفيق يعلو رويدا.. حتَّى كادَ أن يهزَّ قبةَ القاعةِ..

ابتسم (د. ماجد) ودفعَها بلطفٍ لكي تقفَ..

ووقفَ الضُّيوف فى أمَاكنهم واحدًا تلوَ الآخر أيضًا.. نهضَ أكبرُ الرِّجال والنساءِ فى المجموعةِ الشَّمسية سلطةً وقوةً ونفوذًا.. وأيديهمُ لا تزالُ تصفِّق باستحسانٍ.. وتذكَّرت (لمياء) أن تنحنىَ للضيوفِ ولأفرادِ الأوركسترا.. ثْمَّ لمْ تستطعْ أن ترَى شيئًا أمامَها من كثرة ازدحامِ الحضورِ حولَها وهُم يهنئونَها.. وشعرتْ بالبهجةِ الغَامرةِ والسُّرور الَّذى لَمْ يَخْبُ حتَّى فرغتْ القاعةُ.. ووقفتْ وحدَها معَ (د. ماجد) وبعضِ الخدمِ والروبوتاتِ..

صافحتْه بحرارةٍ وسعادةٍ فياضةٍ وقالتْ:

– (د. ماجد)! اشكُركَ لِمنحى هذه الفرصةِ لكتابةِ سيمفونيَّة (الرَّحيل.. إلى عمقِ الكونِ).

ردَّ عليهَا مُبتسمًا:

– «وأنا أشكُركِ لأنَّكِ أبدعتِها! كلُّ واحدٍ من الحاضرينَ طلبَ منى أن يستثمرَ جزءًا كبيرًا من ثروتِهِ فى مؤسسةِ السُّفنِ النَّجمية!».

(١٠)

استيقظتْ (لمياء) فى جناحِهَا بعدَ وقتٍ طويلٍ.. تحت الوهج الخلَّاب للنجومِ ولكوكبِ الأرضِ الأزرَق.. انتصبتْ جالسةً فى فراشِها.. تشاهدُ الكونَ بانبهارٍ واستمتاعٍ.. وكأنَّها تريدُ أن تذهبَ إلى أعماقِهِ فى هذه اللحظاتِ.. داخلَ إحدى السُّفن النَّجمية.. فى رحلة أبديةٍ.. بلا نهايةٍ!

أخذتْ تتأمَّلُ غرفتَها وابتسمتْ.. وكأنَّها تراها لأوَّل مرةٍ.. كانَ مكانًا خياليًّا.. مثل لوحات الفانتازيا الزَّيتية.. بأثاثِها وخزاناتِها ذاتِ الأرفُفِ البللوريَّة.. والإضاءةِ الليزريَّة

الَّتى تنبعثُ من مصدرٍ مَا.. من الصَّعب رؤيتُه.. وكأنَّها بقايَا انفجار نَجم هائلٍ فى السَّماء (سوبر نوفا).. إنَّها - بالتَّأكيد - سوفَ تفتقدُ هذهِ الغرفةَ.. عندمَا تعودُ إلى كوكبِ الأرضِ..

انسلَّتْ (لمياء) من فراشِهَا.. وخطتْ إلى خارجَ غرفتِهَا - مليئةً بأحلامٍ وأمانٍ - بمحاذاةِ المكتبةِ البللوريَّة الرَّئيسية فى القاعةِ الكبرَى.. لمستْ الكتبَ التقليديَّةَ والإلكترونيَّةَ.. وحدَّقتْ فى عناوينَها.. قِصص فانتازيَا.. خيَال علميِّ.. فيزيَاء فلكيةٍ.. عِلم الكوَاكب.. علم النَّفس.. روبوتَات.. ولاحظتْ أحدَ الكتبِ يخرجُ قليلاً عن الصَّف المحاذى لَهُ.. مَجموعة أخرىَ من قصصِ الخيَال العلميِّ.. وكانتْ تبرزُ منه قطعةُ ورقٍ مقوى كعلامةٍ مكتوبٌ عليهَا «الكائناتُ الغريبةُ»..

بدأتْ تقرأُ القصةَ الأولىَ فى المجموعةِ بسعادةٍ.. ثُمَّ لاحظتْ أن الجانبَ الآخرَ من الورقةِ البارزةِ يحملُ صورةً مجسَّمة بالهولوجرام.. تساءلتْ:

- «ترى مَا معنى هذَا؟».

أمالتِ الصُّورة ناحيةَ ضوءِ الأرضيَّةِ.. وعبستْ.. كانتْ الصُّورة لمخلوقٍ بشع.. دلفين محترقٍ.. لا.. بل هى أقربُ مَا تكونُ إلى دودةِ أرضٍ عملاقةٍ.. باستثناءِ أنَّها مغطاةٌ بقشورٍ خضراء رماديَّة تشبهُ الرِّيشَ.. ويبرزُ من أحدِ الجوَانب ثلاثُ زوَائد طرفيَّة.. اثنتان منها تنتهى بأربعةِ مخَالب منحنية.. والثَّالثة فى نهايتَها حزمةٌ من الزَّوائد الصَّغيرة.. وكلُّها موجودَّة حولَ بطنٍ ممتلئٍ بالأشواكِ.. وانتشرتْ عيونٌ متعدِّدةٌ فى الجسمِ الضَّخم.. كلُّها عيونٌ مُرْكَّبة مثل عيونِ القطط وكلُّها تحدِّقَ فى انتباهٍ!

عيونُ قططٍ مُركَّبة؟!

وعندئذٍ شعرتْ (لمياء) بقشعريرةٍ تكادُ تعصفُ بها.. وسقطَ كتابُ قصصِ الخيالِ العلمي منهَا على الأرضيَّة المضيئةِ.. دونَ أن تنتبهَ لذلكَ.. وتناثرتْ من بينِ صفحاتِهِ.. المزيدُ من الصُّور المُجسَّمة لهذه الكائناتِ البشعةِ.. وتقريرٌ ملىءٌ بالتَّفاصيل!

درستْ بعنايةٍ كلَّ صورةٍ من الصورِ المُجسَّمة.. وقرأتِ التَّقرير.. ثُم غلى دمُها من فرط الغضبِ.. وهمستْ وأعصابُها تدقُّ على أوتارِ قلبِهَا بعنفٍ:

- «يَا لَهُ من لعينٍ كاذبٍ!».

ووقفتْ مصدومةً تفكِّر..

(١١)

- «(لمياء)! مَاذا تفعلينَ هنا؟!».

ألقتْ بالتَّقريرِ مرةً أخرىَ على الأرضيَّة.. واندفعتْ بسرعةٍ.. نحوَ المقعدِ الطَّائر.. ثُمَّ انفجرتْ فيه قائلةً:

- «أيُّها الكاذبُ اللعينُ! كائناتٌ غريبةٌ ذاتُ ريشٍ ذهبيٍّ! إن التَّشابه الوحيدَ كانَ فى العيونِ!».

تنهَّد وبدا وكأنَّه مقطوعُ الأنفاسِ.. خائرُ القوىَ.. قالَ:

- «أجل.. أعرفُ هذا!!».

ضمَّتْ (لمياء) قبضتىْ يديهَا.. لكى تمنعَهما من التحوُّل إلى مخَالب وقالتْ وقد جمدتْ تقاطيعُ وجهِهَا:



obeikandl.com

- «لقد جعلتَنى أكتبُ سيمفونيَّة (الرَّحيل.. إلى عمقِ الكونِ).. كوسيلةٍ للخداعِ والاحتيال على المدعوين!».

قطَّب (د. ماجد) حاجبيْه وقالَ:

- «إن الصُّور فقط.. غيرُ دقيقةٍ!».

صاحتْ وقد تناثرتْ الرُّؤى أمامَها.. وكأنَّها تنظرُ فى مرآةٍ مهشَّمة:

- «فقط!..».

وأحسَّت أنه حطَّم نزاهتها.. ومصداقيتَها الفنيَّة.. بهذه الكلمةِ..

استطردتْ:

- «إنَّكَ...».

لم تكنْ هنَاك أى كلماتٍ تعبِّر عن التَّحقير والازدراء تكفى لوصفِهِ.. هدأتْ قليلاً وأردفتْ:

- «لمَاذا فعلتَ هذا؟!».

نظرتْ إليهَا عينَا (د. ماجد) الرماديتان:

- «لأنَّنى أريدُ أن يذهبَ الإنسانُ إلى النجوم! وهَمْ لن يفعلوا ذلكَ.. إذَا أدركوا أن الكواكبَ المحيطةَ بالنجوم البعيدةِ.. تسكنُها كائناتٌ غريبةٌ بشعةُ المنظرِ.. ذاتُ زاوئدَ ومخَالب!».

حرَّكت (لمياء) رأسَها فى غضبٍ وقالتْ بسرعةٍ وإكليلُ شوكٍ يطوِّق قلبَها:

- «لقد كذبتَ أيضًا بخصوصِ عُمرِ السَّفينةِ! إن ذلك التَّقرير يقولُ إن عمرَها نحو ثلاثةِ مَلايين عام! وإن الكائناتِ الغريبةَ تتنفس الكلورَ! ورُبَّما تكونُ قد انقرضتِ الْآنَ.. وحتَّى لَوْ لَمْ تنقرضْ فليس لدينَا أى فرصةٍ للتَّعاملِ أو المتاجرةِ معهَا!».

تمهَّلت قليلًا لتلتقطَ أنفاسَها ثُمَّ أردفتْ:

- «وليسَ هناكَ أى أهميَّة لوجودِهَا هناكَ فى أعماقِ الكونِ!».

عدَّل (د. ماجد) من وضعِ الوسَائد الَّتى يستندُ عليهَا فى مقعدِهِ الطَّائر ثُمَّ أسندَ ظهرَه عليهَا وقالَ:

- «معظمُ النَّاس لن يُصدقوا ذلك! كلُّ ما سيهتمونَ به هوَ ما يرونهَ فعلًا! وتعلمينَ بالطَّبع مدىَ تأثيرِ المظهرِ على أفكارِ النَّاس بشأنِ الأشخَاص أو الأشيَاء!».

هدأَ غضبُ (لمياء) قليلاً وعضَّت شفتَها السُّفلى وقالتْ لنفسِهَا:

- «أجل.. إنَّنى أعرفُ ذلك!».

تنهَّدت وقد ضجَّت هذه الكلماتِ فى أعصابِها كأمواجَ البحرِ الثَّائر.. وقالتْ:

- «لماذَا كانَ يجبُ عليكَ أن تخبرَ الجميعَ بشأنِ تلكَ الكائناتِ الغريبةِ؟ لمَاذا لمْ تقل لهم إنكَ اخترعتَ قوةَ الدَّفع الفضَائية طَاقة نقطةِ الصِّفرِ.. الَّتى سوفَ تحقِّقُ حُلْمَ الإنسانِ بالسَّفر إلى النجومِ البعيدةِ؟».

لوَى (د. ماجد) فمَهُ باستياءٍ وغضبٍ وقالَ:

- «هل تعتقدينَ حقًّا أن مجردَ الحصولِ على قوة الدَّفع الفضَائية سوفَ يحيى حُلْمَ السَّفر إلى النجومِ؟ لا.. إنَّهم

سوفَ يواصلونَ الحديثَ بشأنِ الفضَاء الخَالى من الحياةِ.. وعدمِ وجودِ جدوى اقتصاديَّة تبرِّرُ التكاليفَ!».

تريَّثَ لبرهةٍ ثُمَّ أضافَ قائلًا:

– «لقد ذهبَ بعضُ المستكشفينَ إلى الفضاءِ.. وقبلَهم مجموعةٌ من الروبوتاتِ ذاتِ الرِّقاقاتِ البيولوجيَّة.. لمجردِ معرفةِ مَاذا يوجدُ هناكَ! والبحثِ عن كائناتٍ عاقلةٍ فى مكانٍ آخر من الفضَاءِ! إن الإنسانَ لا يريدُ أن يشعرَ بالوحدةِ.. وبأنَّه المخلوقُ الحَى الوحيدُ فى الكونِ!».

تهالكتْ فوقَ أحد المقَاعد.. وشاحُ الحزنِ كان يجلِّلُ كيانَها.. قالتْ:

– «إذنْ أنتَ الَّذى اخترعت فكرةَ الكائناتِ الغريبةِ الجميلةِ الجذَّابة! واسْتغللتنى لكى تقنعَ ضيوفَكَ بهذه الأكذوبةِ!».

كانَ شغوفا بحُلْمٍ يودُّ تحقيقَه.. قالَ فى لهجةٍ يشوبُها الاعتذارُ:

– «لَمْ يكنْ لدىَّ خيارٌ آخرُ!».

همستْ.. وقد قُتِلَ الحُلْمُ الَّذى فى ذهنِهَا:

- «كانَ يمكنُك أن تخبرَنى بمَا تفعلُه.. وتطلبَ مسَاعدتى!».

صمتَ لعدةِ ثوانٍ ثم قالَ:

- «عندمَا قلتِ لى إنَّك لا ترغبينَ فى تلحينِ إعلاناتٍ تجاريَّةٍ أو وضعِ موسيقَى لمجرَّد قضاءِ الوقتِ! شعرتُ بأنَّك رُبَّما تغادرينَ القمرِ.. ومن ثم تفسدُ كلُّ خُططى! لهذَا لمْ أخبرْكِ!».

أدركت ما يعنيهِ بهذهِ الكلماتِ.. قالتْ وقد اختلجتْ فى أعماقِهَا صرخةُ يأسٍ:

- «مَا الَّذى سيحدثُ عندمَا يعرفونَ الحقيقةَ؟».

أدهشَها أنَّه ابتسمَ وهزَّ كتفيْه قائلًا:

- «رُبَّما لن يحدثَ ذلكَ أبدًا! إنَّنا نعيشَ فى مجَّرةِ (الطَّريق اللبنِّى) الَّتى يصلُ عددُ النجومِ فيهَا إلى آلافِ الملايين.. حشدٌ نجومىٌّ مروِّع وهائلٌ! ولن يتوقعَ أحدٌ أن يعثرَ ضيوفُنا على الكائناتِ الغريبةِ ذاتِ الرِّيش فورًا! وحتَّى

لو تسربتِ الْحقيقةُ.. فسوفَ نكونُ هناكَ بين النُّجوم.. وبمجردِ خروجَ النَّاس إلى البرَارى المقفرةِ فى أرجَاءِ الفضَاءِ.. فإنَّهم عادةً يبقونَ هناكَ..».

كانَ (د. ماجد) شريرًا حتَّى النُّخاع ولا سبيلَ لإصلاحِه.. رجلٌ بلا ضميرٍ..!

قالتْ (لمياء) مُعبِّرةً عن رفضِهَا التَّام:

- «إذنْ أنتَ تريدُ تأسيسَ حضَارةٍ بينَ النجومِ.. مبنيةٍ على كذبةٍ!».

رفعَ رأسَهُ إلى الضَّوء الومَّاض فوقَهُ وقالَ:

- «حتَّى لو كانَ هذا هو الوضعُ.. فالأطفالُ لا يستمرونَ طويلا فى رحمِ الأم! ونحنُ نعوقُ نموَّ الإنسانيةِ بالتَّمسك بالأرضِ والمجموعةِ الشَّمسية.. وأمامنَا آلافُ الملايينَ من المجرَّاتِ والحشودِ النَّجميةِ».

خفضَ بصرَه حتَّى التقَى بعينيْها وقالَ:

- «أعطتْنى الحياةُ كلَّ شيءٍ.. وبخلتْ علىَّ بأثمن مَا فى الوجودِ.. القدرةِ على الحبِّ! أليسَ من حقى أن أعشقَ

النجومَ؟!.. فكِّرى فى الاحتمالاتِ جيِّدًا.. فالرِّحلةُ لا يجبُ أن تكونَ فى اتِّجاه واحدٍ فَقط!، ويمكنُنى أن أذهبَ بنفسِى لأشاهدَ عظمةَ الكونَ! فكِّرى فى الأشيَاء الَّتى تفوقُ الخيالَ ويمكنُ أن نجدَها هناكَ..».

تريَّثَ لبُرهةٍ ثُمَّ استطردَ قائلًا:

- «ألا تحبينَ أن تذهبى إلى عالمٍ جديدٍ.. وتَعزفى الموسيقَى حَسب تتابعِ النوتيداتِ فىَّ خَلايا الحياةِ.. لكائناتٍ أخرىَ.. تسكنُ بعيدًا هناكَ.. فى أعماقِ كوننَا وربَّما فى كونٍ آخر؟!».

obeikandl.com